أعظم إنسان عرفته البشرية

إعداد وترتيب

الشيخ عبد القادر المهدي

خطيب مسجد سالم جمعة بالأسكندرية

غفر الله له ولوالديه وسائر المسلمين

دار القبلة

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا تقبل منا
إنك أنت السميع العليم

محفوظة
جميع الحقوق

الطبعة الأولى ٢٠١٠

رقم الإيداع
٢٠٠٥/١٨٦١١

الترقيم الدولي
977-331-420-0

دار الأفيان للطبع والنشر والتوزيع
١٩،١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤١١٩١٠-٥٢٢٢٠٢
E-mail: dar_aleman@hotmail.com

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة

أخي الحبيب ..... أختي المسلمة :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته

أسوق إليكم هذه الصفات الكريمة لأفضل إنسان عرفته البشرية - وهي قليل من كثير - ولكن جمعتها في هذه الرسالة لتكون عونًا لكم على التخلق بهذه الأخلاق السامية الكريمة فرسول الله (ﷺ) هو قُدوتنا وهو أسوتنا ، ألا إننا نعتز به ونقتدي به ونتشرف بالانتساب إليه وإلى دعوته ، قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (الأحزاب:٢١) وقال تعالى واصفًا أخلاقه الكريمة : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (القلم : ٤) .

أسأل الكريم في عليائه أن يجمعني وإياكم مع

سيد البشر وصاحب الحوض المورود واللواء المعقود والمقام المحمود في الفردوس الأعلى ... آمين .

حفظكم الله ورعاكم

كتبه / عبد القادر المهدى

obeikandl.com

أعظم إنسان عرفته البشرية

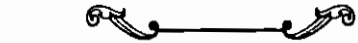

إنه رسول الله (ﷺ) ، صاحب الحوض المورود، واللواء المعقود ، والمقام المحمود ، صاحب الغرَّة والتحجيل ، المذكور في التوراة والإنجيل ، المؤيّد بجبريل، خير الخلق في طفولته ، وأطهر المطهرين في شبابه ، وأنجب البشرية في كهولته ، وأزهد الناس في حياته ، وأعدل القضاة في قضائه ، وأشجع قائد في جهاده، اختصه الله بكل خُلق نبيل ، وطهره من كل دنس ، وحفظه من كل زلل ، وأدبه فأحسن تأديبه وجعله على خُلق عظيم ؛ فلا يدانيه أحد في كماله وعظمته وصدقه وأمانته وزهده وعفته .

اعترف كل من عرفه حق المعرفة بعلو نفسه وصفاء طبعه، وطهارة قلبه ونبل خُلقه، وجاحة عقله ، وتفوق

ذكائه، وحضور بديهته وثبات عزيمته ولين جانبه .

بل اعترف بذلك المنصفون من غير المسلمين؛ ومن هؤلاء :

* يقول المستشرق الأمريكي (واشنجتون إيرفنج): «كان محمد (ﷺ) خاتم النبيين وأعظم الرسل الذين بعثهم الله تعالى ليدعوا الناس إلى عبادة الله » .

* ويقول البروفيسور يوشيودي كوزان -مدير مرصد طوكيو- : (أعظم حدث في حياتي هو أنني درست حياة رسول الله محمد دراسة وافية ، وأدركت ما فيها من عظمة وخلود) .

* ويقول عالم اللاهوت السويسري د. هانز كونج: (بحثت في التاريخ عن مَثَل أعلى لهذا الإنسان ، فوجدته في النبي العربي محمد (ﷺ)) .

* ويقول توماس كارليل : (قرأت حياة رسول

الإسلام جيدًا مرات ومرات ، فلم أجد فيها إلا الخُلُق كما ينبغي أن يكون ، وكم ذا تمنيت أن يكون الإسلام هو سبيل العالم) .

* ويقول المستشرق الفرنسي أميل ردمنغم : (... كان محمد (ﷺ) أنموذجًا للحياة الإنسانية بسيرته وصدق إيمانه ورسوخ عقيدته القويمة ، بل مثالاً كاملاً للأمانة والاستقامة ، وإن تضحياته في سبيل بث رسالته الإلهيه خير دليل على سمو ذاته، ونبل مقصده، وعظمة شخصيته ، وقدسية نبوته) .

* ويقول المستشرق الإسباني جان ليك : (أيُّ رجل أدرك من العظمة الإنسانية مثلما أدرك محمد (ﷺ) ، وأيُّ إنسان بلغ من مراتب الكمال مثل ما بلغ ، لقد هدم الرسول المعتقدات الباطلة التي تتخذ واسطة بين الخالق والمخلوق) .

* أما وليم موير المؤرخ الإنجليزي فيقول في كتابه (حياة محمد): (لقد امتاز محمد (ﷺ) بوضوح كلامه، ويسر دينه، وقد أتم من الأعمال ما يدهش العقول، ولم يعهد التاريخ مصلحًا أيقظ النفوس وأحيى الأخلاق ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل نبي الإسلام محمد (ﷺ)) .

هذه مقتطفات من مواقف فلاسفة ومستشرقين أوروبين وغربيين في حق المصطفى محمد (ﷺ) النبي الخاتم، أردنا منها إثبات أن أبناء الحضارة الغربية يقرون بدور الإسلام في بنائها وتشييد صروحها ، وبنبوة محمد (ﷺ) وصفاته الحميدة وفضله المتصل إلى يوم القيامة على البشرية في جميع أقطار المعمورة ، ذلك أن التعصب الأوروبي المسيحي لم يكن خطًا صاعدًا باستمرار ، وإنما وجد هناك منصفون أكدوا الحقيقة

بلا لف أو دوران ، ولكن الثقافة الغربية السائدة والمتشبعة بقيم التعصب والعناد والتمركز الحضاري حول الذات سعت إلى حجب هذه الحقائق وإخفاء هذه الأصوات حتى لا يتمكن الشخص الأوروبي العادي من الإطلاع على ما أثبته أبناء جلدته من الكبار في حق الإسلام ونبيه ورسالته العالمية الخالدة ، وذلك كله بهدف تحقيق غرضين :

الأول : إبعاد الأوروبيين المسيحين عن الإسلام الذي دلل على قدرته على التغلغل في النفوس وملامسة صوت الفطرة في الإنسان ، فهو يخيف الغرب المتوجس من تراجع عدد معتنقي المسيحية في العالم ، برغم ما ينفقه من الأموال والوقت لتنصير الشعوب .

الثاني : ضمان استمرار الصراع بين الغرب والإسلام والقطيعة بينهما لمصلحة الصهيونية والماسونية التي

تعتبر نفسها المتضرر الأول والرئيسي من تقارب أو حوار بين الإسلام والغرب .

وفي هذه ا لورقات اليسيرات نكشف جانبًا من جوانب عظمته (ﷺ) وأخلاقه الكريمة وخصاله الشريفة لعل الله يهدي بها أقوامًا علم منهم الإنصاف إلى الحق ، ولعله يرعوى أقوام آخرون ممن تابع عن جهل وتعصب أعمى تلك الحملة الظالمة والتشويه الكاذب لسيرة أعظ إنسان عرفته البشرية (ﷺ) .

أخلاق أعظم إنسان (ﷺ) :

كان النبي (ﷺ) أحسن الناس خُلقًا وأكرمهم وأتقاهم ، وقد شهد له بذلك ربه جل وعلا ، وكفى بها فضلاً ؛ قال تعالى مادحًا وواصفًا خُلق نبيه الكريم (ﷺ) ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (القلم :٤) .

* يقول خادمه أنس بن مالك (رضي الله عنه) : (كان

أحسن الناس خُلقًا) رواه البخاري ومسلم .

* وتقول زوجته صفية بنت حيي (رضي الله عنها) : (ما رأيت أحسن خُلقًا من رسول الله (ﷺ)) رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن .

* وقالت عائشة (رضي الله عنها) لما سُئلت عن خُلق النبي (ﷺ) قالت : (كان خُلقه القرآن) صحيح مسلم .

فهذه الكلمة العظيمة من عائشة (رضي الله عنها) ترشدنا إلى أن أخلاقه (ﷺ) هي اتباع القرآن ، وهي الاستقامة على ما في القرآن من أوامر ونواهي ، وهي التخلق بالأخلاق التي مدحها القرآن العظيم وأثنى على أهلها والبعد عن كل خُلق ذمَّه القرآن .

قال ابن كثير - رحمه الله -في تفسيره : ومعني هذا أنه (ﷺ) صار امتثال القرآن أمرًا ونهيًا سجيَّةً له وخُلُقًا ... فمهما أمره القرآن فعله ، ومهما نهاه عنه تركه، هذا

ما جبله الله عليه من الخُلُق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خُلقٍ جميل. ا. هـ.

وقد جاءت صفاته وخصاله الكريمة (ﷺ) في كتب أهل الكتاب نفسها قبل تحريفها، فعن عطاء (رضي الله عنه) قال: قلت لعبد الله بن عمرو أخبرني عن صفة رسول الله (ﷺ) في التوراة، قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينًا عميًا، وآذانًا صُمًا وقُلوبًا غُلفًا) رواه البخاري.

أخلاق النبي (ﷺ) مع أهله :

كان (ﷺ) خير الناس وخيرهم لأهله ، وخيرهم لأمته من طيب كلامه وحُسن معاشرة زوجته بالإكرام والاحترام حيث قال (ﷺ) : (خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي) رواه الترمذي .

وكان من كريم أخلاقه (ﷺ) في تعامله مع أهله وزوجه أنه كان يُحسن إليهم ويرأف بهم ويتلطَّف إليهم ويتودد إليهم، فكان يمازح أهله ويلاطفهم ويداعبهم، وكان من شأنه (ﷺ) أن يرقق اسم عائشة (رضي الله عنها) كأن يقول لها : (يا عائش) ، ويقول لها : (ياحميراء) ويُكرمها بأن يناديها باسم أبيها بأن يقول لها: (يا ابنة الصديق) وما ذلك إلا تودداً وتقربًا وتلطفًا إليها واحترامًا وتقديرًا لأهلها .

وكان (ﷺ) يعين أهله ويساعدهم في أمورهم

ويكون في حاجتهم ، وكانت عائشة تغتسل معه (ﷺ) من إناءٍ واحد ، فيقول لها : (دعي لي ، وتقول له : دع لي) رواه مسلم .

وكان يُسَرِّبُ إلى عائشة بناتِ الأنصار يلعبن معها، وكان إذا هويت شيئًا لا محذورَ فيه تابعها عليه، وكانت إذا شربت من الإنا أخذه ، فوضع فمه في موضع فمها وشرب، وكان إذا تعرقت عَرقًا - وهو العَظْمُ الذي عليه لحم- أخذه فوضع فمه موضع فمها ، وكان يتكئ في حجرها ، ويقرأ القرآن ورأسه في حجرهَا ، وربما كانت حائضًا ، وكان يأمرها وهي حائض فَتَتَّزِرُ ثم يُباشرها ، وكان يقبِّلها وهو صائم ، وكان من لطفه وحُسن خُلُقه (ﷺ) مع أهله أنه يمكِّنها من اللعب.

عن الأسود قال: سألت عائشة (رضي الله عنها) ما كان النبي (ﷺ) يصنع في بيته ؟ ، قالت : (كان يكون في

مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج إلى الصلاة) رواه مسلم.

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت:(كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم) رواه أحمد.

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت : خرجت مع رسول الله (ﷺ) في بعض أسفاره، وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال للناس : اقدموا فتقدموا ، ثم قال لي : تعالي حتى أسابقكِ فسبقته ، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت خرجت معه في بعض أسفاره ، فقال للناس : تقدموا ، فتقدموا ، ثم قال لي : تعالي أسابقك فسبقني ، فجعل يضحك وهو يقول : هذه بتلك) رواه أحمد .

بل إنه(ﷺ) وضع ركبته لتضع عليها زوجه صفيه (رضي الله عنها)رجليها حتى تركب على بعيرها)رواه البخاري.

ومن دلائل شدة احترامه وحبه ووفائه لزوجته خديجة (رضي الله عنها) إن كان ليذبح الشاة ثم يهديها إلى خلائلها (صديقاتها)، وذلك بعد مماتها وقد أقرت عائشة (رضي الله عنها) بأنها كانت تغير من هذا المسلك منه) رواه البخاري .

عدل النبي (ﷺ) :

كان عدله (ﷺ) وإقامته شرع الله تعالى مع القريب والبعيد ، والعدو والصديق ، والمؤمن والكافر ، مضرب المثل ؛ كيف لا وهو رسول الله (ﷺ) والمبلغ عن ربه ومولاه ؟! .

فكان (ﷺ) يعدل بين نسائه ويتحمل ما قد يقع من بعضهن من غيرة ، كما كانت عائشة (رضي الله عنها) غيورة ، فعن أم سلمة (رضي الله عنها) أنها أتت بطعام في صحيفةٍ إلى رسول الله (ﷺ) وأصحابه ، فجاءت عائشة ... ومعها

فِهرٌ ففلقت به الصحفة ، فجمع النبي (ﷺ) بين فلقتي الصحفة وهو يقول : (كلوا ، غارت أُمكم ، مرتين) ثم أخذ رسول الله صحفة عائشة فبعث بها إلى أم سلمة وأعطى صفحة أُم سلمة عائشة) رواه النسائي وصححه الألباني ، وقال عليه الصلاة والسلام في قصة المرأة المخزومية التي سرقت : (والذي نفسي بيده لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها) .

أخلاق النبي (ﷺ) مع الأطفال والصبيان :

عن أنس (رضي الله عنه) قال : (كان (ﷺ) يمر بالصبيان فيسلم عليهم) رواه البخاري ومسلم .

وكان (ﷺ) يسمع بكاء الصبي فيسرع في الصلاة مخافة أن تُفتتن أمه .

وكان (ﷺ) يحمل ابنة ابنته وهو يصلي بالناس إذا قام

حملها وإذا سجد وضعها وجاء الحسن والحسين وهما ابنا بنته وهو يخطب الناس فجعلا يمشيان ويعثران، فنزل النبي (ﷺ) من المنبر فحملهما حتى وضعهما بين يديه ثم قال : صدق الله ورسوله ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الأنفال : ٢٨) ، نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان فيعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما.

وكان (ﷺ) إذا مَرَّ بالصبيان سلم عليهم وهم صغار، وكان يحمل ابنته أمامه وكان يحمل ابنة ابنته أمامة بنت زينب بنت محمد (ﷺ) وهو يصلي بالناس وكان ينزل من الخطبة ليحمل الحسن والحسين (رضي الله عنهما) ويضعهما بين يديه .

أخلاق النبي (ﷺ) مع الخدم والضعفاء والمساكين:

عن أنس (رضي الله عنه) قال: (خدمت النبي (ﷺ) عشر سنين، والله ما قال أُفٍ قط، ولا قال لشيء لِمَ فعلت كذا وهلا فعلت كذا) رواه البخاري ومسلم.

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: (ما ضرب رسول الله (ﷺ) خادمًا له ولا امرأة، ولا ضرب بيده شيئًا قط، إلا أن يجاهد في سبيل الله) رواه البخاري ومسلم.

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: (ما خُير رسول الله (ﷺ) بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه وما انتقم (ﷺ) لنفسه قط؛ إلا أن تُنتهك حرمة الله فينتقم).

وعن ابن أبي أوفى أن رسول الله (ﷺ) كان لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين والعبد حتى يقضي له حاجته) رواه النسائي والحاكم.

رحمة النبي (ﷺ) :

قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ (الأنبياء : ١٠٧) .

وقال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ ﴾ (آل عمران : ١٥٩) .

وعندما قيل له : ادع على المشركين قال (ﷺ) : (إني لم أُبعث لعانًا ، وإنما بُعثت رحمة) رواه مسلم .

وكان من دعاء النبي (ﷺ) اللهم من وليَ من أمر أُمتي شيئًا فشقَّ عليهم ، فاشقُق عليه ، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم ، فارفق به) .

وقال (ﷺ) في فضل الرحمة : (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) رواه الترمذي وصححه الألباني .

وقال (ﷺ) في أهل الجنة الذين أخبر عنهم بقوله : (أهل الجنة ثلاثة -وذكر منهم - : ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم) رواه مسلم .

عفو النبي (ﷺ) :

عن أنس(رضي الله عنه) قال: (كان النبي(ﷺ)من أحسن الناس خُلقًا ، فأرسلني يومًا لحاجة ، فقلت له : والله لا أذهب وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به (ﷺ) ، فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا النبي (ﷺ) قد قبض بقفاي من ورائي، فنظرت إليه وهو يضحك ، فقال: يا أنس أذهبت حيث أمرتك؟، قلت: نعم ، أنا أذهب يا رسول الله، فذهبت) رواه مسلم.

وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال : بينما نحن في المسجد مع رسول الله (ﷺ) إذ جاء أعرابي فقام يبول

في المسجد فقال أصحاب رسول الله (ﷺ) : مَه مَه، قال: قال رسول الله (ﷺ) : (لا تزرموه، دعوه) ، فتركوه حتى بال ، ثم إن رسول الله (ﷺ) دعاه فقال له : (إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ، ولا القذر ، وإنما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن)، قال: فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه عليه) رواه مسلم .

تواضعه (ﷺ) :

كان (ﷺ) سيد المتواضعين يتخلق ويتمثل بقوله تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (القصص: ٨٣).

وكان (ﷺ) يجيب دعوة الحر والعبد والغني والفقير

ويعود المرضى ويعطف على المسكين ، ويصل البائس ويواسي المستضعفين ويداعب الأطفال، ويمازح الأهل ، ويكلم الأمة ، ويواكل الناس ، ويجلس على التراب ، وينام على الثرى ، ويفترش الرمل ، ويتوسد الحصير، ولما رآه رجل ارتجف من هيبته فقال (ﷺ) : (هون عليك فإني ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة) رواه ابن ماجة .

وكان (ﷺ) يكره المدح وينهى عن إطرائه ويقول: (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، فإنما أنا عبد الله ورسوله ، فقولوا عبد الله ورسوله) أخرجه البخاري .

كيف لا وهو الذي يقول (ﷺ) : (آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد) رواه أبو يعلي وحسنه الألباني .

ومن تواضعه (ﷺ) أنه كان يجيب الدعوة ولو إلى خبز الشعير ويقبل الهدية ، وعن أنس (رضي الله عنه) قال: كان (ﷺ) يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة فيجيب) رواه الترمذي في الشمائل . والإهالة السنخة: أي الدهن الجامد المتغير الريح من طوال المكث .

مجلسه (ﷺ) :

كان (ﷺ) يجلس على الأرض ، وعلى الحصير ، والبساط ، عن أنس (رضي الله عنه) قال :(كان النبي (ﷺ) إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده، ولا يصرف وجهه من وجهه حتى يكون الرجل هو يصرفه ، ولم ير مقدمًا ركبتيه بين يدي جليس له) رواه أبو داود والترمذي بلفظه.

وعن أبي أمامة الباهلي قال : خرج علينا رسول الله (ﷺ) متوكئًا على عصاه ، فقمنا إليه ، فقال : (**لا تقوموا**

كما يقوم الأعاجم يعظِّم بعضهم بعضًا) رواه أبو داود وإسناده حسن .

زهده (ﷺ) :

كان (ﷺ) أزهد الناس في الدنيا وأرغبهم في الآخرة، خيَّره الله تعالى بين أن يكون ملكًا نبيًا أو يكون عبدًا نبيًا فاختار أن يكون عبدًا نبيًا .

فكان (ﷺ) ينامُ على الفراش تارة ، وعلى النِّطع تارة، وعلى الحصير تارة ، وعلى الأرض تارة ، وعلى السرير تارة بين رِمَالهُ ، وتارة على كِساء أسود .

وكان بيته من طين ، متقارب الأطـراف، داني السقف، وقد رهن درعه في ثلاثين صاعًا من شعير عند يهودي، وربما لبس إزارًا ورداء فحسب ، وما أكل على خوان قط .

قال أنس بن مالك (رضي الله عنه) : (دخلت على النبي

(ﷺ) وهو على سرير مزمول بالشريط وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف ، ودخل عمر وناس من الصحابة فانحرف النبي (ﷺ) فرأى عمر أثر الشريط في جنبه فبكى ، فقال النبي (ﷺ) : ما يبكيك يا عمر، قال : وما لي لا أبكي وكسرى وقيصر يعيشان فيما يعيشان فيه من الدنيا وأنت على الحال الذي أرى ، فقال يا عمر : أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة قال : بلى ، قال : هو كذلك) .

وكان من زهده (ﷺ) وقلة ما بيده أن النار لا توقد في بيته في الثلاثة أهلة في شهرين .

فعن عروة (رضي الله عنه) قال : عن عائشة (رضي الله عنها) أنها كانت تقول : والله يا ابن أختي كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثلاثة أهله في شهرين ، ما أوقد في أبيات رسول الله (ﷺ) نار، قلت : يا خالة فما كان عيشكم ؟ ، قالت:

الأسودان ، التمر والماء) رواه البخاري ومسلم .

وعن ابن عباس(رضي الله عنهما) قال : كان النبي (ﷺ) يبيت الليالي المتتابعة طاويًا وأهله لا يجدون عشاءً ، وكان أكثر خبزهم الشعير) رواه الترمذي وحسنه الألباني.

عبادته (ﷺ) :

كان (ﷺ) أعبد الناس ، ومن كريم أخلاقه (ﷺ) أنه كان عبدًا لله شكورًا ؛ فإن من تمام كريم الأخلاق هو التأدب مع الله رب العالمين، وذلك بأن يعرف العبد حق ربه سبحانه وتعالى عليه فيسعى لتأدية ما أوجب الله عز وجل عليه من الفرائض ثم يتمم ذلك بما يسر الله تعالى له من النوافل ، وكلما بلغ العبد درجة مرتفعة عاليةً في العلم والفضل والتقى عرف حق الله تعالى عليه فسارع إلى تأديته والتقرب إليه عز وجل بالنوافل.

فقد قال رسول الله (ﷺ) عن رب العالمين في الحديث القدسي الذي يرويه عن ربه إن الله تعالى قال: (... وما يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه ...) رواه البخاري.

فقد كان (ﷺ) يعرف حق ربه عز وجل عليه وهو الذي قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر على الرغم من ذلك كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه -صلوات ربي وسلامه عليه - ويسجد فيدعو ويسبح ويدعو ويثني على الله تبارك وتعالى ويخشع لله عز وجل حتى يُسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل .

فعن عبد الله بن الشخير (رضي الله عنه) قال : (أتيت رسول الله (ﷺ) وهو يصلي ولجوفه أزيزٌ كأزيز المرجل

من البكاء) رواه أبو داود وصححه الألباني .

وعن عائشة (رضي الله عنها) أن نبي الله (ﷺ) كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ، فقالت عائشة (رضي الله عنها) : لِمَ تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ ، قال : (أفلا أكون عبدًا شكورًا) رواه البخاري .

ومن تخلقه (ﷺ) بأخلاق القرآن وآدابه تنفيذًا لأمر ربه عز وجل أنه كان يحب ذكر الله ويأمر به ويحث عليه، قال (ﷺ) : (لأن أقول سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس) رواه مسلم .

وكان (ﷺ) أكثر الناس دعاءً، وكان من أكثر دعاء النبي (ﷺ) أن يقول : (اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) رواه البخاري

ومسلم .

وعن عائشة (رضي الله عنها) أنه كان أكثر دعاء النبي (ﷺ) قبل موته : (اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل) رواه النسائي وصححه الألباني .

دعوته (ﷺ) :

شملت دعوته (ﷺ) جميع الخلق ، فكان (ﷺ) أكثر رسل الله دعوة وبلاغًا وجهادًا ، لذا كان أكثرهم إيذاءً وابتلاءً ، منذ بزوغ فجر دعوته إلى أن لحق بربه جل وعلا.

وكانت دعوته (ﷺ):

المرتبة الأولى : النبوة .

الثانية : إنذار عشيرته الأقربين .

الثالثة : إنذار قومه .

الرابعة : إنذار قوم ما أتاهم من نذير من قبله وهم العرب قاطبة .

الخامسة : أنذار جميع من بلغته دعوته من الجن والإنس إلى آخر الدَّهر .

وقد قال الله جل وعلا لنبيه (ﷺ) : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾(يوسف:١٠٨).

وكانت دعوته (ﷺ) كلها رحمة وشفقة وإحسانًا وحرصًا على جمع القلوب وهداية الناس جميعًا مع الترفق بمن يخطئ أو يخالف الحق والإحسان إليه، وتعليمه بأحسن أسلوب وألطف عبارة وأحسن إشارة، متمثلاً قول الله عز وجل : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل :١٢٥) .

ومن ذلك لما جاءه الفتى يستأذنه في الزنى ، فعن أبي أمامة (رضي الله عنه) قال : إن فتى شابًا أتى النبي (ﷺ) فقال: يا رسول الله ، ائذن لي بالزنا ، فأقبل القوم عليه فزجروه ، وقالوا : مه مه فقال له : (ادنه ، فدنا قريبًا منه قال : أتحبه لأُمِّك ؟ ، قال لا والله ، جعلني الله فداءك، قال : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم ، قال : أفتحبه لابنتك؟، قال : لا والله يا رسول الله ، جعلني الله فداءك ، وقال : ولا الناس جميعًا يحبونه لبناتهم ، قال : أفتحبه لأختك؟، قال : لا والله جعلني الله فداءك، وقال : ولا الناس جميعًا يحبونه لأخواتهم ، قال : أفتحبه لعمتك؟ ، قال : لا والله جعلني الله فداءك، قال : ولا الناس يحبونه لعماتهم ، قال: أفتحبه لخالتك؟، قال : لا والله جعلني الله فداك ، قال: ولا الناس جميعًا يحبونه لخالاتهم، قال : فوضع يده عليه وقال : اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه ، وحصِّن فرجه) فلم

يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء) رواه أحمد .

كرم النبي (ﷺ) وجوده :

كان (ﷺ) أكرم الناس وأجود الناس لم يمنع يومًا أحدًا شيئًا سأله إياه ، يعطي عطاء من لا يخشى الفقر؛ فهو سيد الأجـواد على الإطلاق ، أعطى غنمًا بين جبلين ، وأعطى كل رئيس قبيلة من العرب مائة ناقة، ومن كرمه (ﷺ) أنه جاءه رجل يطلب البردة التي هي عليه فأعطاه إياها (ﷺ) وكان لا يرد طالب حاجة ، وقد وسع الناس برّه ، طعامه مبذول ، وكفه مدرار، وصدره واسع ، وخلقه سهل ، ووجه بسَّام .

وجاءته الكنوز من الذهب والفضة وأنفقها في مجلس واحد ولم يدخر منها درهمًا ولا دينارًا ولا قطعة، فكان أسعد بالعطية يعطيها من السائل ، وكان يأمر بالإنفاق والكرم والبذل ، ويدعو للجود والسخاء ،

ويذمّ البُخل والإمساك (ﷺ).

بل كان يُنفق مع العدم ويعطي مع الفقر، يجمع الغنائم ويوزعها في ساعة، ولا يأخذ منها شيئًا، مائدته (ﷺ)معروضة لكل قادم، وبيته قبلة لكل وافد، يضيف وينفق ويعطي الجائع بأكله، ويؤثر المحتاج بذات يده، ويصل القريب بما يملك، ويواسي المحتاج بما عنده، ويقدم الغريب على نفسه، فكان (ﷺ)آية في الجود والكرم، ويجود جود من هانت عليه نفسه وماله وكل ما يملك في سبيل ربه ومولاه، فهو أندى العالمين كفًا، وأسخاهم يدًا، غمر أصحابه وأحبابه وأتباعه، بل حتى أعداءه ببرّه وإحسانه وجوده وكرمه وتفضله، أكل اليهود على مائدته، وجلس الأعراب على طعامه وجفّ المنافقون بسفرته، ولم يُحفظ عنه (ﷺ)أنه تبرم بضيف أو تضجر من سائل أو تضايق من طالب، بل

جرّ أعرابي برده حتى أثّرَ في عنقه وقال له : أعطني من مال الله الذي عندك ، لا من مالك أبيك وأمِّك ، فالتفت إليه (ﷺ) وضحك وأعطاه .

شجاعته (ﷺ) وجهاده :

كان (ﷺ) أشجع الناس وأثبتهم قلبًا لا يبلغ مبلغ في ثبات الجأش وقوة القلب مخلوق ، فهو الشجاع الفريد الذي كملت فيه صفات الشجاعة وتمت فيه سجايا الإقدام وقوة البأس ، وهو القائل : (والذي نفسي بيده لوددت أنني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل) أخرجه البخاري .

لا يخاف التهديد والوعيد ، ولا ترهبه المواقف والأزمات ، ولا تهزه الحوادث والملمَّات ، فوَّض أمره لربه وتوكل عليه وأناب إليه ، ورضي بحكمه واكتفى بنصره ووثق بوعده ، فكان (ﷺ) يخوض المعارك بنفسه

ويباشر القتال بشخصه الكريم، يعرِّض روحه للمنايا، ويقدِّم نفسه للموت، غير هائب ولا خائف، ولم يفرَّ من معركة قط، وما تراجع خطوة واحدة ساعة يحمي الوطيس وتقوم الحرب على ساق وتشرع السيوف، وتمتشق الرماح، وتهوي الرؤوس ويدور كأس المنايا على النفوس، فهو في تلك اللحظة أقرب أصحابه من الخطر، يحتمون أحيانًا به (ﷺ) وهو صامد مجاهد، لا يكترث بالعدوّ ولو كثر عدده، ولا يأبه بالخصم ولو قوي بأسه، بل كان يعدل الصفوف ويشجع المقاتلين ويتقدم الكتائب، وقد فرَّ الناس يوم حُنين وما ثبت إلا هو (ﷺ) وستة من أصحابه، وكان صدره بارزًا للسيوف والرماح، يصرع الأبطال بين يديه ويذبح الكماة أمام ناظريه وهو باسم المحيا، طلق الوجه، ساكن النفس.

وقد شُج عليه الصلاة والسلام في وجهه وكُسرت رباعيته ، وقتل سبعون من أصحابه ، فما وهن ولا ضعف ولا خار، بل كان أمضى من السيف ، وبرز يوم بدر وقاد المعركة بنفسه ، وخاض غمار الموت بروحه الشريفة ، وكان أول من يهبّ عند سماع المنادي ، بل هو الذي سنَّ الجهاد وحثَّ وأمر به .

وتكالبت عليه الأحـزاب يوم الخندق من كل مكان، وضاق الأمر وحلَّ الكرب ، وبلغت القلوب الحناجر، وزلزل المؤمنون زلزالاً شديدًا ، فقام (ﷺ) يصلي ويدعو ويستغيث مولاه حتى نصره ربّه وردّ كيد عدوه وأخزى خصومه وأرسل عليهم ريحًا وجنودًا وباؤوا بالخسران والهوان .

صدق النبي الكريم (ﷺ) :

بل هو الذي جاء من عند ربه، فكلامه صدق وسنَّته صدق ، ورضاه صدق ،وغضبه صدق ، ومدخله صدق، ومخرجه صدق ، وضحكه صدق ، وبكاؤه صدق ، ويقظته صدق ، ومنامه صدق ، وكلامه (ﷺ) كله حق وصدق وعدل ، لم يعرف الكذب في حياته جادًّا أو مازحًا ، بل حرَّم الكذب وذمَّ أهله ونهى عنه، وكل قوله وعمله وحاله (ﷺ) مبني على الصدق ، فهو صادق في سلمه وحربه ، ورضاه وغضبه ، وجدّه وهزله، وبيانه وحكمه ، صادق مع القريب والبعيد، والصديق والعدو ، والرجل والمرأة ، صادق في نفسه ومع الناس ، في حضره وسفره ، وحلّه وإقامته ، ومحاربته ومصالحته ، وبيعه وشرائه ، وعقوده وعهوده ومواثيقه ، وخطبه ورسائله ، فهو الصادق المصدوق

الذي لم يحفظ له حرف واحد غير صادق فيه ، ولا كلمة واحد خلاف الحق ، ولم يخالف ظاهره باطنه، بل حتى كان صادقًا في لحظاته ولفظاته وإشارات عينيه، وهو الذي يقول لما قال له أصحابه : ألا أشرت لنا بعينيك في قتل الأسير - : ما كان لنبي أن تكون له خائنة أعين) رواه أبو داود والنسائي .

فهو الصادق المصدوق في الجاهلية قبل الإسلام والرسالة ، فكيف حاله بالله بعد الوحي والهداية ونزول جبريل عليه ونبوَّته وإكرام الله له بالإصطفاء والاجتباء والاختيار ؟! .

صبره (ﷺ) :

لا يعلم أحد مرَ به من المصائب والمصاعب والمشاق والأزمات كما مرَّ به (ﷺ) ، وهو صابر محتسب ، صبر على اليتم والفقر والجوع والحاجة ، وصبر على

الطرد من الوطن والإخراج من الدار والإبعاد عن الأهل ، وصبر على قتل القرابة والفتك بالأصحاب وتشريد الأتباع وتكالب الأعداء وتحزّب الخصوم واجتماع المحاربين ، وصبر على تجهّم القريب وتكالب البعيد، وصولة الباطل وطغيان المكذبين ، صبر على الدنيا بزينتها وزخرفها وذهبها وفضتها ، فلم يتعلق منها بشيء ، فهو (ﷺ) الصابر المحتسب في كل شأن من شؤون حياته ، فالصبر درعه وترسه وصاحبه وحليفه، كلما أزعجه كلام أعدائه تذكّر ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ (طه : ١٣٠) ، وكلما راعه هول العدو وأقضّ مضجعه تخطيط الكفار تذكّر ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ (الأحقاف :٣٥) .

مات عمه فصبر ، وماتت زوجته فصبر ، وقُتل عمّه فصبر ، وأبعد من مكة فصبر ، وتوفي ابنه فصبر ،

ورميت زوجته الطاهرة بالفاحشة كذبًا وبهتانًا فصبر، وكُذب فصبر، قالوا له شاعر، كاهن، ساحر، مجنون، كاذب، مفتر، فصبر، أخرجوه وآذوه، شتموه، سبّوه، حاربوه، سجنوه... فصبر، وهل يتعلم الصبر إلا منه؟، وهل يُقتدى بأحد في الصبر إلا به؟، فهو مضرب المثل في سعة الصدر وجليل الصبر وعظيم التجمّل وثبات القلب، وهو إمام الصابرين وقدوة الشاكرين (ﷺ).

ضحكه (ﷺ):

وكان (ﷺ) ضاحكًا بسّامًا مع أهله وأصحابه؛ يمازح زوجاته ويلاطفهن ويؤنسهن ويحادثهن حديث الود والحب والحنان والعطف، وكانت تعلو محيّاه الطاهر البسمة المشرقة الموحية، فإذا قابل بها الناس أسر قلوبهم أسرًا، فمالت نفوسهم بالكلية إليه وتهافتت أرواحهم

عليه ، وكان يمزح ولا يقول إلا حقًا ، فيكون مزحه على أرواح أصحابه ألطف من يد الوالد الحاني على رأس ابنه الوديع ، يمازحهم فتنشط أرواحهم وتنشرح صدورهم وتنطلق أسارير وجوههم.

يقول جرير عبد الله البجلي : ما رآني رسول الله (ﷺ) إلا تبسم في وجهي .

وكان (ﷺ) في ضحكه ومزاحه ودعابته وسطًا بين من جفّ خلقه ويبس طبعه وتجهّم محيّاه وعبس وجهه، وبين من أكثر من الضحك واستهتر في المزاح وأدمن الدعابة والخفة .

بل كان من هديه (ﷺ) أن يمازح بعض أصحابه قال له أحد أصحابه ذات مرة : أريد أن تحملني يا رسول الله على جمل ، قال : (لا أجد لك إلا ولد الناقة) فولّى الرجل فدعاه وقال : (وهل تلد الإبل إلا النوق) ،

أي أن الجمل أصلاً ولد ناقة . أخرجه أحمد عن أنس ابن مالك .

وسألته امرأة عجوز قالت : يا رسول الله ! ادع الله أن يدخلني الجنة ، فقال لها النبي (ﷺ) : (يا أُم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز ، فولت تبكي ، فقال : أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز ، إن الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ (الواقعة: ٣٥-٣٧) رواه الترمذي في الشمائل وحسنه الألباني .

الخاتمة

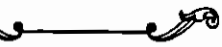

أخي الحبيب ... أختي المسلمة :

أُوصي نفسي وإياكم بكثرة الصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وسيد الخلق أجمعين في كل وقت وكل حين ، فإن في كثرة الصلاة والسلام عليه (ﷺ) الفضل الكبير ، والخير الكثير في الدنيا والآخرة ، فمن أراد أن يكون له نور يمشي به في الناس ، ونور يمشي في يوم القيامة وعلى الصراط فاليكثر من الصلاة والسلام على الحبيب المصطفى (ﷺ) في الليل والنهار.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، وبارك

على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد .

إعداد فضيلة الشيخ

عبدالقادر المهدى

خطيب مسجد سالم جمعة بالأسكندرية

obeikandl.com

obeikandl.com